آن أوان التحرر

عندما يصبح تدفق الحكمة من قلب الإنسان إلى لسانه عملية عفوية ومستمرة؛ عندما لا يستطيع الكف عن الإصغاء و الاستماع لتلك الحادثة التي استولت على حياته... هنا ، أيتوجب عليه فعل شيء ؟ أيمكن اعتبار هذه الحادثة بمثابة توصل إلى رسالة صحيحة و منهج جيد؟ أم أنه الوقت المناسب لرؤية الحقيقة بكامل جلائها ؟

رغم أن العديدين منا غير مستعدين لسماعها أو رؤيتها ، إلا أن اليوم الذي سيتمكنون فيه من إدراك الحقيقة أو على الأقل امتلاك الاستعداد لمواجهتها آتٍ لا محالة، و لكن علينا القول و كبذرة لهؤلاء بأن حقيقة الرسالة الصحيحة و المنهج الجيد هي لا الرسالة رسالة و لا المنهج منهج... فالمنهج الجيد سيء و لا زال سيئاً .

obeikandl.com

أما الرسائل و المناهج الدينية فهي في الحقيقة ألعاب روحية لأناس أحبوا اللعب فأكسبتهم كلمة «روحية» استكباراً و غروراً أكثر .

يستمتع البعض بكرة القدم و يستمتع آخرون بالمقامرة بالأوراق، هناك من يدعو هذه الأشياء ألعاباً دنيوية أو أرضية، لكن الحقيقة هي أن اللعبة لعبة و لا يوجد ما هو أرضي أكثر من الألعاب .

يحاول البعض أن يحرز نجاحاً أكثر و يحاول آخرون أن يصبحوا أغنى و هناك من يسعى لتحقيق قوة أعظم و كل هذه أشياء أجمعت الأديان على إنكارها دون استثناء .

و لكن عندما يبدأ أحدهم بالترقي في مستويات الوجود أكثر منا ينسى و ننسى أنه يمارس اللعبة نفسها بأسلوب مختلف و بقواعد مختلفة... إنه الغرور نفسه «الأنا» الذي يحاول أن يثبت لنفسه بأنه أسمى من غيره و بأنه أفضل من غيره... إنه الفكر المقارن التفضيلي، و الفكر المقارن التفضيلي في حالة دائمة من الصراع و الضياع .

openkandil.com

عندما يصبح الفكر فكراً مقارنا تفضيلياً يكف عن كونه فكراً سليماً .

إذا أنت سمحت للأشياء بالحدوث دون أدنى اختيار؛ إذا استقبلت باحترام عميق و بقبول يفيض بالامتنان، و إذا نظرت لتلك الأشياء على أنها عطايا ثمينة من الوجود العظيم تكون عندها قد أصبحت عفوياً.. و أي اختيار بسيط من قبلك؛ أي تعديل مهما كان طفيفاً سيفقدك سر الموضوع بأكمله .

إذا أردت أن ترى الوجود كما هو دون أي اختيار، فهذا ما تعنيه العفوية، و لكن لا تعني العفوية أنه لا يتوجب عليك فعل شيء . { تسيير و تخيير }

سوء فهم كبير لكنه شائع و لا سيما بين صفوف السائلين و مريدي التأمل ذلك بأنهم قادرون على بذل الجهد لتحقيق العفوية... نبذل الجهود لتحقيق العفوية ثم لا ندري مادا نفعل يؤكد الذين أدركوا الحقيقة عن طريق الاختبار وليس عن طريق المعرفة شيئاً واحداً : أنت كما تستطيع أن

openkahaf.com

تكون؛ أعطيت لك حقيقتك الجوهرية و لا يمكنك تحقيقها في المستقبل ... قد لا تتمكن من إدراكها في الحاضر لكن هذا لا يعني بأنها غير موجودة بل يعني ببساطة أن عيناك مغلقتين، يمكن لأحدنا أن ينتظر شروق الشمس مغمضاً عينيه، و على ذلك سيبقى بظلمة و حتى بعد الشروق و لكن بالطبع لا يمكنه إنكار وجود الشمس بل يظهر ما لديه من حماقة إذا فعل... افتح عينيك فقط و ستجد كل ما تحتاجه قد أعطي لك .

كان أحد الصوفيين و يدعى جنيداً ينهي صلاته بشكر عميق تجاه الوجود قائلاً « تغمرني بالحب و بالعطايا إلى الحد الذي يجعلني أشعر بالحيرة و العجز تجاهك، فكيف لي رد الجميل ؟ اقبل شكري الهزيل هذا و اقبل دموعي فلا أملك ما أعطيه لك. »

كان جنيد و بعض من تلاميذه في رحلة حج، و صادف أن توجب عليهم المرور و لثلاثة أيام متتالية في قرى يسكنها مسلمون متشددون، و بالطبع يستحيل لمثل هؤلاء تقديم أي

operlkandr.com

طعام أو شراب و حتى الماء لجنيد و تلاميذه، كما كان عدم الحصول على مأوى أمراً مفروغ منه .

لثلاثة أيام متواصلة في الصحراء، لا طعام و لا ماء و لا مأوى لم تتغير صلاة جنيد أو شكره تجاه هذا الوجود، ولكن كان ذلك فوق احتمال التلاميذ عندما تمر الأيام بخير فهذا جيد و مقدور عليه، و لكن ثلاثة أيام بلياليها الباردة دون طعام أو ماء فكثير... و لا أمل بأن يكون الغد أفضل... واجه التلاميذ معلمهم و قالوا « لكل شيء حدود و قد استمعنا لصلاتك أعواماً و آمنا بأنها متناغمة مع الوجود الذي أعطانا كل شيء، لكننا اعتقدنا بأن هذه الأيام الثلاثة ستغيرك و تجعلك أقل امتناناً تجاه الوجود أو أنك ستشكو أو تتذمر، لكننا نراك ما زلت كما كنت، لا نستطيع أن نفهم فالشكر نفسه و الدموع نفسها ... فلمن كل هذا الشكر ؟ »

ضحك جنيد وقال « كانت هذه الأيام الثلاثة هي الأهم في حياتي، أرتني هذه الأيام فيما إذا كنت شاكراً أم لا؛

فيما إذا كان شكري مخادعة ذات هدف أم أنه شيء ما قد أشرق في قلبي... بقدر ما يهمني الأمر لا أملك حق الاختيار، فأنا بحاجة لكل ما يعطيه الوجود لي، وهكذا كنت بحاجة لهذه الأيام الثلاثة من البرد ، من الجوع والعطش و إلا لما كانت بحاجة لأن تكون، هذه الأيام الثلاثة هي حاجتي الفعلية... لا أعلم عنكم شيئاً لكن شكري عديم الشروط، لا أشكر الله لأنه يحسن معاملتي؛ لا أسباب لشكري لأنه فرحي و سعادتي وخشوعي للوجود... لا ، لا أملك خياراً . »

الوعي غير المخير يعني بأن كل ما يحدث هو الشيء الصحيح الذي يجب أن يحدث، ثم علينا عدم إصدار الأحكام بهذا الخصوص، لا يعني التوقف عن أداء شيء بل يتوجب علينا متابعة الحياة بكل بساطة كمن يطفو على سطح مياه النهر و ليس كمن يسبح في عرض النهر أو بعكس تياره .

يأتي الجهد عندما يسبح أحدنا بعكس التيار... يريد منك الوجود أن تتجه شمالاً و إذ بك تتجه نحو الجنوب و عندها يأتي الصراع؛ يتوجب عليك عندها بذل الجهد و مع بذل الجهد يأتي وجودك المشتت كغرور... و لكن إذا أنت أبحرت مع التيار كما يشاء و دون أهداف، لأن إنساناً بأهداف لا يمكنه أن يكون عفوياً؛ دون تحديد أي وجهة أو قدر لأن إنساناً بوجهة و قدر لا يمكنه أن يستريح و لا يمكنه أن يكون عفوياً فقد اختار.

حدث أن كان في اليابان معبدان متجاوران و قد اعتاد كل منهما مناقضة الآخر... لم يتوقف صراع المعبدين لقرون عدة..

كان في كل منهما كاهن كبير و طفل صغير لتلبية حاجات المعبد الصغيرة... أخبر كل كاهن طفله بألا يتحدث مع طفل المعبد الآخر لأن العداوة بينهما تاريخية... لكن الأطفال أطفال و يريد كل منهما أن يلعب مع الآخر، و خاصة في تلك الغابة المعزولة بعيداً جداً عن أقرب

القرى و هما الشخصان الوحيدان الذي يمكن لكل منهما التواصل مع الآخر .

في أحد الأيام تحدى أحد الطفلين سيده و وقف على جانب الطريق، فهو يعلم بأنه وقت خروج الطفل الثاني من معبده لإحضار الخضار و حاجات أخرى من السوق ... قدم الغلام فسأله الطفل الأول بمودة و صداقة « أين أنت ذاهب ؟ » فأجاب « إلى حيث تأخذني الريح . »

لم يكن الجواب بمثل مودة و محبة السؤال و لم يكن مناسباً لمن يوافق على الدخول في حوار... أجاب الطفل بهذه الكلمات و مضى في طريقه، استاء السائل و تأكد الآن بأن معلمه على حق و بأن هؤلاء الأناس حمقى... تسألهم سؤالاً بسيطاً فيجيبوك بألغاز !!

عاد الطفل إلى المعبد و قال للكاهن « اعذرني يا سيدي فقد خالفتك و تلقيت عقابي للتو . »

استمع الرجل لكلام الطفل و قال « لا تقلق ... انتظره في الغد و اسأله السؤال نفسه و عندما يجيبك بقوله إلى حيث

openkandar.com

تأخذني الريح فاسأله « و إذا لم تهب الريح، عليك أن تضع له حداً؛ عليك أن تهزمه فالمسألة ليست بهذه البساطة. »

في الصباح كان الطفل مستعداً فقد تدرب جيداً على ما سيقول... اقترب الطفل الثاني فسأله « أين تذهب ؟ » لكنه أجاب « إلى حيث تقودني قدماي. »

هكذا كثير للغاية فقد تدرب على جوابه طويلاً و يراه الآن جواباً عديم الفائدة، عاد إلى المعبد و بغضب شديد قال « إنهم مخادعون بالفعل و لا يمكن الاعتماد عليهم، فقد غيروا إجابتهم !! »

فقال المعلم « أخبرتك بهذا من قبل لكنك بدأت جدالاً عديم الحاجة أو الفائدة... انتظره في الغد، و عندما يقول إلى حيث تقودني قدماي فاسأله « و إن لم تكن لك قدمان». »

مستعداً بإجابته سأل الطفل في اليوم التالي « أين أنت ذاهب » فأجاب الطفل الثاني « إحضار الخضروات و بعض الأشياء من السوق . »

openkandar.com

ما العمل الآن مع مخادعين كهؤلاء ؟!

عندما تلتزم خطة فكرية محكمة يكون احتمال إصابتك بخيبة أمل مع الوجود احتمالاً لا يقبل الشك .

إن في المقولة الشائعة « الإنسان في الإعداد و اللّه في التقدير» بعض الصحة و لكن ليس اللّه من يقدر لك وعليك بل أنت من يقدر كل شيء من خلال ما تعد .

لا تخطط و لا توجد إمكانية لأن يقدر لك أحد؛ لا تتخذ أهدافاً و لا يمكنك أن تفشل... لا تحدد وجهة و لا يمكنك أن تظل السبيل .

و لكن لنفهم هذا جيداً و ببساطة علينا أن نواصل طوفاننا مع تيار النهر و علينا ألا نبالي سواءً أذهب بنا إلى أي مكان أم لم يذهب... فلنستمتع باللحظة؛ فلنحيا اللحظة {الحالية} فلنحيا اللحظة مع الشمس المشرقة و مع الطيور المغردة و مع الأشجار حول النهر... إنها كافية مكتفية بذاتها .

openkanan.com

و لكن وقعت إنسانيتنا بفاجعة و معضلة تسبب بها من ندعوهم مؤسسين للأديان؛ من ندعوهم قادة أخلاقيين؛ من ندعوهم سياسيين و من ندعوهم كهنة و علماء دين و دنيا لأنهم من قال و لقرون بأن الإنسان كما هو يبقى منقوص النبالة و الكفاءة... يمكن إيجاز تعاليم هؤلاء بأنه عليك أن تكون شيئاً ذا قيمة؛ عليك أن تستحق الاحترام و عليك امتلاك هالة من المظاهر، أما كما أنت فلا تعادل شيئاً... و لهم في ذلك حقوق ملكية يسمونها فكرية... لا يكف الأخلاقيون عن القول بأنك كائن أخلاقي مولود مع الخطيئة و الاثم و بذلك اختلقوا هالة نفسانية للذنب والخطيئة... إنها طريقة لا أكثر.

في اللحظة التي يبدأ فيها الإنسان شعوره بالذنب يصبح معتلاً فاقداً لبهائه؛ فاقداً لفرديته و شجاعته، و يبدأ بالبحث عمن يقوده و عمن يرشده و بالتالي سيحكم على كل ما يفعله بالخطأ لأنه الآن فاقد للشجاعة .

openkanal.com

يحيا القادة من خلال تدميرنا، فهم قادة لأننا بحاجة لمن يقودنا؛ هم قادة لأننا غير قادرين على النظر لأنفسنا بأننا أناس يمكنهم الوقوف على أقدامهم و لأننا غير قادرين على أن نعلن للعالم « أنا وحيد و أنا على صواب كما أنا، هذه هي الطريقة التي خلقني بها الوجود ... »

يحتاج العالم ثورة عظيمة يعلن فيها كل فرد فرديته ... لكننا نعلن انتماءنا لدين فنفقد تلك الفردية؛ نعلن انتماءنا لدولة فنفقد فرديتنا و نعلن بأننا أجزاء من إيديولوجيات محددة فندفع بأنفسنا إلى أحوال مأساوية يصعب معها العثور على الطريق، فكل ما سنجنيه من ذلك هو المضي أبعد و أبعد ثم أعمق و أعمق في الضياع و الفوضى، لأن جميع هؤلاء يشبعون رغباتهم بالعظمة عن طريق جعلنا صغاراً.

كان أحد الملوك يستمتع بجمع عباقرة دولته في بلاطه ليسألهم سؤالاً ثم يستمع لأجوبتهم... كان سؤال الملك في أحد الأيام غريباً، فقد دخل البلاط و رسم على لوح أسود

خطاً مستقيماً و قال « أيمكنكم جعل هذا الخط أصغر دون لمسه، و بانتظاركم جائزة ثمينة...» كان بيده ألماسة رائعة كهدية .

بدأ الجميع التفكير فكيف يمكن جعل الخط أصغر دون لمسه ؟

لم يقف أحد من الحاضرين في البلاط ليجيب إلا أحدهم وكان يتمتع بروح الدعابة و المرح حيث اقترب من اللوح ورسم تحت الخط القديم خطاً أكبر منه فغدا أصغر دون أن يلمس .

كان الملك قد ذكر هذه الحادثة في سيرته الذاتية حيث كتب « رغم أنني لم أفكر بهذا اللغز الذي وجدته في كتاب مدرسي لطفل صغير إلا أنني وجدته أمراً عظيماً ، ولم أستطع بنفسي معرفة كيفية جعل الخط أصغر دون لمسه. »

تخبئ هذه القصة رغم بساطتها شقاء الإنسانية كاملاً ، فقد جعلونا صغاراً دون أن يلمسونا .

سمعنا العديد من القصص العظيمة المختلقة عن المعلمين ومنها التي تقول بأن المهافير لم يكن يتعرق أبداً، هذا ممكن بالطبع إذا كان للمهافير جسد بلاستيكي لا جلد عليه، و نعلم جميعاً بأن البلاستك لم يكن موجوداً منذ خمسة و عشرين قرناً... و لكن لم تختلق قصص كهذه ؟ لا لشيء سوى لجعلنا صغاراً، فنحن مخلوقات عادية و من الطبيعي أن نتعرق أما المهافير و غيره من المعلمين فهم أهل الأبدية و لا يجوز أن يتعرقوا !!!

و هكذا تتعدد القصص و الروايات و جميعها لا تظهر إلا جهة واحدة و هي أن المعلم قمة في كل شيء، و الدافع لذلك هو إقناعنا بأنهم ينتسبون لفئة أعلى من فئتنا في الخلق ... و ما هو هدفهم المعلن ؟ كما يقولون فقد جاؤوا كمخلصين و محررين للبشرية.

و لكن على ما يبدو فإن البشرية لم تتحرر من شيء؛ أين هي الإنسانية التي تم إنقاذها و تحريرها ؟ لا نراها في أي

openkamdi.com

مكان، هل صادفتها ؟... إن كل الأحاديث عن إنقاذها لم تتجاوز حتى الآن حد الادعاء .

كان أوشو مرة يجلس على ضفة الغانج فرأى رجلاً يقفز في الماء، كانا وحيد و الظلام يوشك على الهبوط... لم يعلم أوشو بالطبع الدافع وراء هذا العمل لأنه لم يكن يعنيه في البداية، و لكن ما هي إلا لحظات حتى بدأ الرجل بالصراخ طالباً المساعدة و النجدة... لم يكن هناك وقت للتساؤل عن الدوافع، أسرع أوشو و سحب الرجل من الماء لكنه فوجئ بعدم تقبله للمساعدة فبدأ بمشاجرة و مقاومة منقذه .

سحب الرجل من الماء لكنه قال « أي نوع من الرجال أنت ؟ كنت أحاول الانتحار. »

فسأله « ما دمت كذلك فلم طلبت المساعدة ؟ »

فأجاب « إنها طبيعة الإنسان، قررت الانتحار لكن برودة الماء... أدركت أنني لا أجيد السباحة و نسيت كل شيء عن كل شيء دفعني للانتحار. »

ophelkandil.com

فقال أوشو « لا مشكلة في الأمر » فسأله «و ماذا تقصد ؟»
لم يقل شيئاً لكنه عاد و دفعه إلى النهر .

بدأ الرجل بالصراخ ثانية، فقال أوشو « الآن لا، الشأن الآن شأنك أما أنا فقد وقعت في الفخ أول مرة باعتقادي أنه يمكن مساعدة من يريد الانتحار، أما الآن فقد فهمت كل شيء. »

حاول الرجل الخروج المرة تلو الأخرى وقال « من فضلك ساعدني، لا أريد الانتحار. »

فأجاب « و أنا لا أريد النزول إلى الماء البارد ثانية، أنا سعيد حيث أنا و عليك أن تسعد حيث أنت .»

يرغمك جميع هؤلاء في البداية على أن تكون شريراً، قاسياً و سيئاً ثم تراهم مستعدين لإنقاذك !!

يتفق جميع هؤلاء على اختلاف فلسفاتهم على أن يثبتوا لك بأنك تافه حقير مبتذل و لا تستحق شيئاً... لا يمكن أن تستعبد الإنسانية ما لم تجبرها على الدخول في حالة من الشعور العميق بالإثم، و ذلك ممكن عن طريق السياسين؛

openkandil.com

عن طريق الكهنة و المعلمين... تختلف الوجوه لكن الأسلوب واحد مشترك .

علينا الثورة على كامل التاريخ الإنساني؛ علينا الثورة ضد كل من يحاول العمل على إنقاذنا فقد نجونا و لسنا بحاجة لأية جهود إضافية من أحد ، فنحن بأحسن حالة يريدها لنا الوجود... في هذه اللحظة و في هذا المكان نحن الأفضل ونحن في أفضل حالاتنا و لا يمكن لآخر الحلول مكاننا... هذا هو بهاء إنسانية الإنسان .

فلننسى كل شيء عن التطور الروحي؛ فلننسى كل شيء عن الأهداف الروحية فلا أهداف للوجود... ما الوجود إلا مرح عظيم من الطاقة و لا يسعى لبلوغ شيء .

استمتع بالرقص و كن جزءً منه، و عندها تمكر عليك وروداً من فرح غامر .

لست بحاجة ليقودك أحد و لست بحاجة لينقذك أحد ، فجميع هؤلاء أنانيون و لكن أذكياء، حكموا العالم ومازالوا يفعلون و ها نحن نرى النتائج... البؤس في كل

openkanal.com

مكان من حياتنا ، نحيا في الحياة لأننا لا نملك عملاً آخر { كما نقول في العامية « نحيا من قلة الموت »}نحيا و نعلم يقيناً بأن منهانا إلى القبر... نحلم، نأمل و نتخيل أما نحيا بحق فلا .

الحياة الآن و هنا و هي دائماً الآن و هنا... لا توجد جنة سوى أن تغمر نفسك في الحياة بكامل أبعادها و ألوانها... لا يوجد سوى ذلك الرقص العذب .

نعمل و باستمرار على تغيير أوهامنا... يتوهم أحدنا في الشباب بأن الحب و الجنس هو من سيدخله عالم الأسرار، و تفتح في الحقيقة مع أشياء كهذه أبواب كلها مآسي {مالم نفهمها عن طريق اختبار عميق بالطبع} ، و يسعى آخرون وراء جمع مال أكثر .

سئل هنري فورد مرة « أنت صاحب الدخل الأعلى في العالم {في عصره} فماذا تشعر ؟ » فأجاب « أشعر بكآبة وإحباط تام فلا شيء في القمة، لم أتعلم بحياتي سوى

obeikandi.com

تسلق السلالم ظناً مني بأن الإشباع قادم مع الدرجة التالية، لكنه لم يأت أبداً. »

عندما يصل أحدنا إلى طريق مغلقة مع الأوهام، مع الآمال والأحلام الأرضية يبدأ بالبحث عن التطور الروحي، يبدأ بالبحث عن الله و عن الجنة... و بهذا لم يتغير الإنسان و لم تتغير أوهامه، بقي على حاله و لم يتعلم شيئاً .

ما لم نتحرر تماماً؛ مالم ننبذ التفكير بالغد مطلقاً لا يمكننا التعرف على الحقيقة الخالصة للوجود و الموجودة في اللحظة الحالية... لا يمكنك التناغم مع الوجود إلا بهذه الطريقة .آن أوان التحرر الكامل؛ آن أوان التحرر من الأوهام الأرضية وغير الأرضية؛ آن أوان التحرر من الحب ومن المال و من الاستنارة... كن ببساطة كما أنت... ها أنت قد وصلت إلى البيت...

لم تغادره في الحقيقة!

كنت و لا زلت هنا!

لكنك عدت إلى رشدك .